

المقصد التداولي في المعجم العربي: لسان العرب نموذجا

Pragmatic intentionality in the Arabic Dictionary: LISSAN
EL ARAB as a modelد. يوسف عابدات¹

جامعة القاضي عياض، مراكش. yosf3abidat@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/01/08 تاريخ القبول: 2022/02/05 تاريخ النشر: 2022/03/01

ملخص: تندرج هذه الدراسة في صلب قراءة التراث المعجمي العربي برؤى معاصرة، بتوظيف آليات القراءة التداولية، التي تسعى إلى مقارنة اللغة في سياق الاستعمال والتواصل والتفاعل، منطلقين من افتراض مسبق مؤداه أن التراث العربي تراث تداولي بامتياز، يحفل بالعديد من عناصر التداول التي تعد من صميم الطرح التداولي، وإن كانت تختلف من حيث الاصطلاح عن الجهاز المفهومي لنظيره عند الغرب، إلا أنها تلتقي معه روحا وجوهرا، وتحتاج إلى مزيد من الغوص والاستقصاء لسبرها أمام متلقي هذا التراث.

على هذا الأساس، تسعى هذه الدراسة إلى تبين ملامح المقصد التداولي في الصناعة المعجمية العربية ممثلة في أحد أوفى إنتاجاتها وهو لسان العرب، ويمكن اعتبارها استجابة لندرة الدراسات التداولية في الثقافة العربية عامة، والمعجمية خاصة، بما يسهم في ردم الفجوة المعرفية في هذا المجال.

كلمات مفتاحية: التداولية، المقصدية، المعجم العربي، لسان العرب.

Abstract: This study falls at the core of reading the Arab lexical heritage through contemporary visions by using the mechanisms of pragmatic reading that seek to approach the language

¹ د. يوسف عابدات yosf3abidat@gmail.com

in the context of use; we base our study on a prior assumption that the Arab heritage is excellently a pragmatic heritage that is full of many elements of pragmatic.

On this basis, this study aims to clarify the features of pragmatic intentionality in the Arabic lexical industry that is represented in one of its most complete productions "LISSAN EL Arab". The study can be considered as a response to the scarcity of pragmatic studies in Arab culture in general and the lexical one in specific. Therefore, we shall contribute to bridging the knowledge gap in this area.

Key words: pragmatics, intentionality, Arabic dictionary, LISSAN EL ARAB.

1. مقدمة:

يعد المعجم العربي مظهرا من مظاهر اعتزاز العرب بلغتهم وافتخارهم بفصاحتهم، وهو وعاء فكري ومخزون لغوي يمدنا بطاقات هائلة من الألفاظ، تسعفنا في البحث عن المعاني التي تستشكل على مستعمل اللغة عامة، والباحث خاصة في شتى دروب المعرفة: اللغة، والأدب، وعلم الاجتماع، وعلم النفس، وفلسفة اللغة، وغيرها.

ومن أشهر معاجم اللغة العربية "لسان العرب"، الذي يعدّ عملا موسوعيا ضخما استقصى فيه صاحبه القاصي والداني من خمسة جهابذة من جهابذة اللغة، وضم بين دفتيه الشيء الكثير عن حياة العرب وثقافتهم، وأسفارهم وأخبارهم، وأمثالهم وأقوالهم، مستفيدا من التجارب التي سبقته، ومفتشا عن اللغة ضمن سياقات استعمالها؛ والعناية بهذه العناصر إنما هي

من صميم اهتمامات الدرس التداولي الذي يدرس المنجز اللغوي في سياق التواصل والاستعمال، الأمر الذي شجعنا على خوض غمار هذا البحث في استكناه معالم المقصد التداولي في هذا السفر النفيس، تلبية لدواع ذاتية وموضوعية أجمل بعضها في الآتي:

- الوعي بحاجة التراث المعجمي العربي إلى مزيد من الاستقصاء والبحث من منظور مناهج نقدية ولسانية حديثة؛
- السعي إلى توطین الطرح التداولي في كنف الصناعة المعجمية العربية، بما يتوافق مع مقتضيات هذا الطرح من جهة، وطبيعة البناء المعرفي والمنهجي لهذه الصناعة من جهة أخرى.

لأجل ذلك، تسعى هذه الدراسة إلى مقارنة الإشكال الآتي: ما ملامح المقصد التداولي في بناء معجم لسان العرب منهجا ومادة؟ وللإجابة عن هذا الإشكال، تم التوصل بالمنهج الوصفي التحليلي، من خلال الاعتماد المباشر على الملاحظة والتحليل ثم الاستنتاج، وفق خطة تتمفصل فيها جملة من الخطوات المتسلسلة والمتراطة منطقيا، في تعاضد تام مع الحقل المعرفي الذي تشغل عليه. كما تستقي الدراسة شواهدا من نسخة "لسان العرب" الصادرة عن دار صادر- بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1968، والمتكونة من خمسة عشر جزءا.

2. مدخل مفهومي:

يجسد العنوان مقابلة مصطلحية بين طرفين: الطرف الأول: المقصد التداولي، والطرف الثاني: المعجم العربي ممثلا في لسان العرب؛ لذلك ارتأينا أن نتوقف بإيجاز عند شقي هذه الدراسة من الناحية المفهومية، ثم نرسم

على ضوء ذلك خطة محكمة تضيئ مساراتها معالم هذه الدراسة. فما المراد بالمقصد التداولي؟ وما مكانة لسان العرب بين باقي المعاجم؟

1.2 المقصد التداولي:

يقتضي منا الحديث عن المقصد التداولي تسليط الضوء أولا على التداولية بوصفها منهجا لسانيا معاصرا يهتم بدراسة اللغة في سياق الاستعمال والتواصل والتفاعل. وقد اكتسب مصطلحها دلالات عديدة في ضوء المعاني التي يحيل إليها لفظه، وانبثقت عن ذلك تعريفات متعددة منها تعريف جاك موشلار Jaque Moeschler وأن روبول Anne Reboul بكونها "دراسة الاستعمال اللغوي المقابلة لدراسة النظام اللساني الذي يعد من اهتمام اللسانيات بصفة خاصة"¹، في حين ربطها دومينيك مانغونو Dominique Maingueneau بالسياق معتبرا "المكون الدلالي يعالج وصف الملفوظات في سياقاتها"².

وعند العرب، نورد تعريف الدكتور محمود أحمد نحلة الذي استخلصه من تعريف شارلز وليام موريس charles william mouris الذي شكل الأصل في كل التعريفات التي جاءت بعده، معتبرا التداولية "دراسة اللغة في الاستعمال، أو في التواصل، لأنه يشير إلى المعنى ليس شيئا متأسلا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد(مادي، واجتماعي، ولغوي) وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما"³.

فالتداولية تبعا لذلك علم يختص بدراسة المعنى في سياق محدد ومناسب لطبيعة التواصل بين المرسل والمرسل إليه، مع استحضار مختلف الظروف المتدخلة في الأداء اللغوي، سعيا إلى تحقيق التواصل من جهة، وبلوغ المعنى المقصود من جهة أخرى؛ ومن ثم يمكننا أن ندلف إلى المراد بالمقصد التداولي الذي نروم مقارنته في هذه الدراسة، والذي نعني به: جملة الملامح والجوانب والأبعاد التداولية التي استحضرتها ابن منظور في بناء معجمه، والتي تشكل عناصر إجرائية في الطرح التداولي الحديث، من قبيل الاهتمام بالمتكلم والمتلقي والسياق بشقيه اللغوي وغير اللغوي وآليات الاحتجاج.. مما يسعفنا في استكناه الطبيعة التداولية لهذه الموسوعة المعجمية؛ ومن ثم سنركز في مقاربة هذا المقصد على العناصر الآتية:

- سؤال المنهج تداوليا؛
- السياق التداولي؛
- مسالك الاحتجاج؛
- طرفا التداول.

2.2 وقفة مع ابن منظور ولسانه:

يعد ابن منظور⁴ من أئمة المؤلفين والشارحين والمختصرين ممن يشار إليهم بالبنان في مجال اللغة وجمع لداتها، عربي النسب شريف المحتد من الأنصار، عاش في فترة تزخر بكثرة المؤلفات والمختصرات، فارتوى من معارفها، واغترف من معين نميرها، فكان له النصيب الأوفر منها، حتى قال عنه ولده قطب الدين: "إنه ترك بخطه خمسمائة مجلد"⁵. كان صدرا رئيسا

فاضلا في الأدب، مليح الإنشاء، وكان عارفا بالنحو واللغة والتاريخ والكتابة. خدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة مدة عمره، وولي قضاء طرابلس، واختصر كثيرا من كتب الأدب المطولة كالأغاني، والعقد، والدخيرة، ومفردات ابن البيطار⁶...

صرح ابن منظور في مقدمة كتابه أنه جمع مادته من خمسة كتب، وهي: تهذيب اللغة للأزهري (ت370هـ)، والمحكم لابن سيده (ت458هـ)، والصحاح للجوهري (ت393هـ)، وأمالي أبي محمد بن بري على الصحاح (ت582هـ)، والنهاية في غريب الحديث لأبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري (ت606هـ)، وذكر فيها أنه سعى إلى أمرين: الاستقصاء والترتيب، فوجد ضالته الأولى عند الأزهري في تهذيبه وابن سيده في محكمه، والثانية وجدها عند الجوهري الذي أحسن ترتيب مختصره وشهره بسهولة وضعه، لكنه غير وفير المادة، ولم يكن له من ذلك سوى ما تفرق في هذه الكتب مع بسط القول فيه، يقول: "وليس في هذا الكتاب فضيلة أمت بها، ولا وسيلة أتمسك بسببها، سوى أنني جمعت فيه ما تفرق في تلك الكتب من العلوم، وبسطت القول ولم أشبع باليسير، وطالب العلم منهوم، فمن وقف فيه على صواب أو زلل، أو صحة أو خلل، فعهده على المصنف الأول، وحمده وذمه لأصله الذي عليه المعول"⁷.

3. سؤال المنهج تداوليا:

اتبع ابن منظور في لسانه منهج الباب والفصل (نظام القافية)؛ إذ رتب الكلمات وفق جذورها مع اعتماد حرف الكلمة الأخير بابا واستعاض عنه

بلفظ "حرف"، والأول فصلا، ورتب معجمه وفق أحرف الهجاء، فنبحث عن كلمة "جلدب" في حرف الباء، فصل الجيم، وهو بذلك يسلك منهج سلفه الجوهري (393هـ) في معجمه "تاج اللغة وصحاح العربية"، مستحسنا طريقته التي تنم عن عبقريته، يقول عنه: "شرطنا في هذا الكتاب المبارك أن نرتبه كما رتب الجوهري صحاحه"⁸، ويضيف: "ورأيت أبا نصر إسماعيل بن حماد الجوهري قد أحسن ترتيب مختصره، وشهره، بسهولة وضعه، شهرة أبي دلف بين بادية ومحتضره، فخف على الناس أمره فتناولوه، وقرب عليهم مأخذه فتداولوه وتناقلوه"⁹.

استهل ابن منظور كتابه بمقدمة غير قصيرة، ذكر فيها شرف اللغة العربية وارتباطها بالقرآن الكريم، ونقد التهذيب والمحكم والصحاح، ثم وصف منهجه ودوافع تأليف معجمه، وجعل بين المقدمة ومتن المعجم بابين: أولهما: جمع فيه تفسير الحروف المقطعة من بدايات سور القرآن الكريم، وعزى ذلك إلى سببين: "أولهما: التبرك بتفسير كلام الله تعالى (...)، والثاني: أنه إذا كان في أول الكتاب كان أقرب إلى كل مطالع من آخره"¹⁰. أما الباب الثاني فجعله لألقاب الحروف وطبائعها وخواصها، وسبب إفراده هذه الحروف عن المعجم أنها "ينطق بها مفرقة غير مؤلفة ولا منتظمة فتد كل كلمة في بابها فجعل لها بابا بمفردها"¹¹.

تأسيسا على ما تقدم، يمكن أن نستشف جملة من السمات التداولية في منهج ابن منظور، منها:

- حسن الجمع مع جودة العرض، كما صرح بذلك في قوله: "ولم أجد في كتب اللغة أجمل من (تهذيب اللغة) لأبي منصور محمد بن أحمد

الأزهري، ولا أكمل من (المحكم) لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي، رحمهما الله¹²، مع الحرص على الالتزام بما أورده السابقون في المصادر التي اعتمد عليها، وعدم مجاوزة النص، يقول: "بل أديت الأمانة في نقل الأصول بالفص، وما تصرفت فيه بكلام غير ما فيها من النص"¹³.

- تيسير منهج الوضع؛ ليسهل على الناس الانتفاع به والاعتراف من معينه، مقتفياً أثر الجوهري في مختصره الذي اعتبره أحسن ترتيب وأشهره وأيسر على الناس، فتناولوه وقرب عليهم مأخذه¹⁴.

- إيراد الكثير من لغات القبائل، والنوادر، والتراجم، والأخبار، حتى يجد فيه الباحث ضالته من معارف متعددة في اللغة والأدب والنحو والصرف والتاريخ والتفسير والفقه، فكان وسمه بالموسوعة الضخمة أو دائرة المعارف من باب الإنصاف له ولصاحبه؛

- التنوع في أساليب الشرح والتعريف، باستثمار كل الطرق والوسائل التي لجأ إليها أصحاب مصادره الخمس، ومن ذلك الشرح بالضد "العُجْم والعَجَم خِلافُ العُزْب والعَرَب"¹⁵، والشرح بالسياق ضمن شواهد قرآنية أو حديثية أو شعرية...

- التوسع في الاستشهاد بالقرآن والحديث والأشعار، مع الميل لحذف الأسانيد ونسبة معظم الأشعار لقائلها؛

- التوسع في إيراد المعاني المختلفة للمادة الواحدة، ومن المواد ما بلغ شرحها ثلاث صفحات أو أكثر، كما هو الشأن في مادة "شرب" التي بلغ شرحها في طبعة دار صادر سبع صفحات من: ص. 487 إلى: ص. 493.

- معالجة الكثير من القضايا ضمن مستويات اللغة المعروفة: الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي، نحو: الإبدال، التذكير والتأنيث، الجمع، التصغير، التعدي، الأساليب (التعجب، الاستفهام...)، المشترك اللفظي...

4. السياق التداولي:

أدرك علماء اللغة قديما وحديثا أهمية السياق ودوره في الحدث الكلامي، باعتباره أحد أهم القرائن التي تعين على فهم المعاني ودلالة الكلام، وقد أشار فنندريس إلى قيمته بقوله: "الذي يُعَيِّن قيمة الكلمة (...)" هو السياق، إذ إن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديدا مؤقتا، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة، على الرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها"¹⁶.

ولعل من أسباب تضخم مواد المعجمات أنها تولي عناية قصوى للأمور السياقية، ولا تقتصر على الجانب الدلالي للمفردات، بل تتقصى المعنى تداوليا من خلال التتبع الاستعمالي لحركة المفردة في الشواهد التي تستدل بها. ويأتي معجم لسان العرب في مقدمة هذه المعاجم التي أولت اهتماما بالغا بالسياق، حيث حشد صاحبه الشواهد من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، واللهجات العربية، ليستدل بها على مختلف الدلالات التي تكشف عنها استعمالات الكلمة في سياقات مختلفة.

والسياق من منظور تداولي ينقسم إلى لغوي وآخر غير لغوي، وينقسم الثاني بدوره إلى سياق ثقافي وآخر اجتماعي، فأين تتجلى معالم السياق التداولي في معجم لسان العرب؟

1.4 السياق اللغوي:

يسمى كذلك بالسياق المقالي¹⁷، ويراد به "استخدام الكلمة التي يفسرها المعجم ويشرحها في عبارات وجمل توضّح معناها، أو من خلال الشواهد، والشواهد في اللسان متنوعة من القرآن والحديث والشعر والأمثال وكلام العرب"¹⁸، حيث تقيد الكلمات بسياق استعمالها على مستوى الأسلوب، ونأخذ مثالا على ذلك سياق النفي في الأمثلة الآتية:

ورد في لسان العرب شرح لفظي "نقرة" و "اكثرث" كما يلي:

- نقرة: "يقال ما أثابه نَقْرَةً أي شيئاً لا يستعمل إلا في النفي، قال

الشاعر:

وَهُنَّ حَرَى أَنْ لَا يُثْبِتَكَ نَقْرَةً وَأَنْتَ حَرَى بِالنَّارِ حِينَ تُثِيبُ"¹⁹

- اكثرث: لا يستعمل هذا الفعل إلا في سياق النفي، قال ابن منظور:

"يقال: ما أكثرث به أي ما أبالي به، ولا يستعمل إلا في النفي"²⁰.

من جهة أخرى، لا تتبين دلالات المشترك اللفظي إلا من خلال سياقه

اللغوي الذي يرد فيه، ونمثل لذلك بلفظ "أمر"، حيث جاء في لسان العرب:

"الأَمْرُ معروف نقيض النَّهْيِ (...)، وقوله عز وجل: "وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ

العالمين"، العرب تقول أَمَرْتُكَ أَنْ تَفْعَلَ وَلِتَفْعَلَ وَأَنْ تَفْعَلَ (...) والمعنى أَمُرْنَا

للإسلام، وقوله عز وجل: "أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ"، والأَمْرُ واحدُ الأُمُورِ،

يقال: أَمْرُ فلانٍ مستقيمٌ وأُمُورُهُ مستقيمةٌ، والأَمْرُ الحادثة والجمع، وفي

التنزيل العزيز "أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ"، وقوله عز وجل: "وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ

أَمْرَهَا" قيل: ما يُصلحها"²¹.

فابن منظور عدّد دلالات هذا اللفظ وفق السياقات التي ورد فيها ضمن الشواهد التي استدلل بها، فدل على: نقيض النهي، الحادثة والجمع، ما يصلح الشيء...، والأمر نفسه نتبينه في العديد من الألفاظ المشتركة، نحو: العين، الخال، والجلف، السَّرب، الفنّ...

2.4 السياق غير اللغوي:

يقصد به ما يحكم دلالة العنصر اللغوي من ملابس غير لغوية، ويسمى أيضا بالمقام التخاطبي²²، وهو ينسحب على المناحي الاجتماعية والثقافية في الحدث الكلامي، وقد أعاد التداوليون الاعتبار لهذا السياق بعدما أهمله البنيويون، يقول باتريك شارودو، و دومينيك منغونو: "إن جل اللسانيين يقبلون اليوم أهمية السياق ويعترفون بأن النشاط اللغوي ظاهرة اجتماعية من جهتين: فهو محدد بالسياق الاجتماعي وهو في ذاته عمل اجتماعي"²³.

1.2.4 السياق الثقافي:

من الطَّبَعي أن اختلاف البيئات الثقافية في المجتمع يؤدي إلى اختلاف دلالة الكلمة أثناء الاستعمال، وقد تفتن ابن منظور إلى هذا البعد من خلال استشهاده أحيانا في المادة الواحدة بآراء اللغويين والنحويين والمفسرين والفقهاء، ولهجات العرب في القراءات القرآنية. فعلى سبيل المثال: "تستخدم كلمة (الجزر) عند اللغويين بمعنى، وعند علماء الرياضيات بمعنى آخر، وعند المزارع تحمل معنى مختلفا"²⁴، وهذه المعاني كلها واردة في نص ابن منظور الآتي: "جَذُرُ كل شيء أصله، والجَذُرُ أصل اللسان (...). والجَذُرُ أصل

حِسَابٍ وَنَسَبٍ، وَالْجَذْرُ أَصْلُ شَجَرٍ وَنَحْوَهُ (...). والحسابُ الذي يقال له عَشْرَةٌ في عَشْرَةٍ وكذا في كذا تقول ما جَذَرُهُ أَي ما يبلغ تمامه ؟ فتقول عَشْرَةٌ في عشرة مائة وخمسة في خمسة خمسة وعشرون، أَي: فَجَذَرُ مائة عَشْرَةٌ وَجَذَرُ خمسةٍ وعشرين خمسةً وعَشْرَةٌ في حساب الضَّرْبِ جَذَرُ مائة (...) "25.

2.2.4 السياق الاجتماعي:

بعض المفردات يصعب الوصول إلى المقصود منها دون معرفة ملابسائها الاستعمالية، ذلك أنها تستمد معناها من قيمتها التداولية، ولابد من فهم الملابس السياقية الاجتماعية بما في ذلك الأعراف والتقاليد والمعتقدات.. لذلك ربط ابن منظور، في العديد من المواضع، بين معاني الألفاظ والأنساق الاجتماعية التي نشأت فيها، ونمثل لذلك بشرحه معاني بعض الألفاظ بالرجوع إلى عادات العرب في الجاهلية وتقاليدهم، كما هو الشأن في تحديد دلالة "النسيء"، يقول: "النَّسِيءُ شهر كانت العرب تُؤَخِّرُهُ في الجاهلية فنَهَى الله عز وجل عنه، وقوله عز وجل: إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ (...). وذلك أَنَّ العرب كانوا إذا صدرُوا عن مَنَى يقوم رجل منهم من كنانة فيقول أنا الذي لا أَعَابُ ولا أُجَابُ ولا يُرَدُّ لي قضاءً فيقولون صَدَقْتَ أَنَسِينَا شهراً، أَي: أَخْرَجْنَا حُرْمَةَ الْمُحَرَّمِ وَاجْعَلْهَا فِي صَفَرٍ وَأَجَلِ الْمُحَرَّمِ لَأَنَّهُمْ كانوا يكرهون أَنْ يَتَوَالَى عَلَيْهِمْ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ حُرْمٍ لَا يُغَيِّرُونَ فِيهَا، لِأَنَّ مَعَاشَهُمْ كان من الغارة فَيُجِلُّ لَهُمُ الْمُحَرَّمُ"26.

فالنسيء شعيرة من شعائر العرب في الجاهلية كان يقوم بها بنو فقيم من قبيلة كنانة العدنانية من أهل الحرم المكي، حيث كانوا يبدلون بعض

الأشهر الحرم بغيرها من الأشهر، فيحلون الشهر الحرام ويحرمون مكانه شهراً آخر، ليبيحوا لأنفسهم ما أرادوا تحليله فيه.

5. مسالك الاحتجاج:

يقصد بالاحتجاج طلب الحجة والدليل على صحة الدعوى، من خلال "دراسة التقنيات الخطابية التي تعمل على حث الأذهان للتسليم بالآطروحات المعروضة عليها، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"²⁷، ويعتبر ملمحاً تداولياً مقترناً بالاستدلال المنطقي المبني على تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، ومنه نتساءل: كيف احتج ابن منظور لأرائه؟ وما طبيعة الحجج التي استند إليها؟

1.5 الاحتجاج بالقرآن الكريم:

أجمع علماء اللغة على أن القرآن الكريم أعلى مراتب الاحتجاج وأرقاها في العربية، وقد تفتن معظم المعجميين القدماء إلى أهمية الشاهد القرآني في شرح معاني الكلمات، واعتنوا به عناية فائقة، واعتبروه مصدراً أساسياً للاحتجاج به في معاجمهم²⁸.

من جهته، اهتم ابن منظور بالشاهد القرآني اهتماماً بالغاً، تجلّى في نظريته إليه نظرة مقدسة؛ فهو الكلام الذي لا يدانيه كلام في قوة البناء وسبك النظم، كما كان ملماً بالقراءات القرآنية واستدل بها في تقرير العديد من المعاني اللغوية والمسائل النحوية، من ذلك احتجازه في أحد معاني "الكلالة" بقراءة أهل الكوفة، يقول: "وقد أجاز قوم من أهل اللغة وهم أهل الكوفة أن تكون الكلالة اسماً للوارث واحتجوا في ذلك بأشياء منها قراءة

الحسن (وإن كان رجل يُورث كلالَةً) بكسر الراء فالكَلالة على ظاهر هذه القراءة هي ورثة الميت²⁹، وأورد في مادة آزر قوله: "وَأَزَّرُ اسمٌ أعجبي وهو اسم أبي إبراهيم (...). وأما قوله عز وجل: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبْنَيْهِ أَزَرِ) قال أبو إسحق يقرأ بالنصب أَزَرَ فمن نصب فموضع آزر خفض بدل من أبيه، ومن قرأ آزر بالضم فهو على النداء"³⁰.

- نستشف من خلال هذين المثالين بأن الاحتجاج بالقرآن الكريم والقراءات القرآنية يحقق للمؤلف عدة مقاصد تداولية منها:
- الرجوع إلى القراءة للاستدلال بها على معنى معين؛
 - معرفة أصل اللفظ واشتقاقاته؛
 - معرفة الضبط الصحيح للكلمة بحركاتها، وتصريفاتها، وتوجيهاتها النحوية؛
 - الكشف عن معاني المفردات الغريبة والغامضة.

2.5 الاحتجاج بالحديث الشريف:

يأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم، باعتباره صادراً عن أفصح العرب لساناً، ولئن كان الحديث الشريف هو المصدر الثاني في البيان والفصاحة، إلا أن العلماء اختلفوا في الاستشهاد به، وذهب بعض الدارسين إلى أن ابن منظور أول معجمي يقرُّ اعتماد الحديث الشريف "لغة من اللغات التي يجب أن يركز عليها المعجم"³¹؛ بل عُدَّ من أكثر المستشهرين به، واتخذ "النهاية في غريب الحديث والأثر" لابن الأثير مصدراً من مصادره.

من خصائص استشهاد ابن منظور بالحديث الشريف:

- حذف الأسانيد؛
- عدم الإشارة إلى صحة الحديث أو ضعفه؛
- إرداف الأحاديث بتعقيباته أو تعقيبات اللغويين؛
- رواية الحديث بالمعنى، كما في قوله: "وفي حديث الزكاة وذكر الخيل ورجلٌ اتَّخَذَهَا أَشْرًا وَمَرَحًا الْبَطْرُ، وقيل أَشَدُّ الْبَطْرُ وفي حديث الزكاة أيضاً كَأَغَدٍّ ما كانت وأسمنه وأشَرِه أي أَبْطَرِه وأنْشَطِه"³².

3.5 الاحتجاج بالشعر الفصيح:

احتل الشعر العربي الفصيح مكانة مرموقة في المعجمات العربية، حتى أصبح منهلاً عذبا يستدل به أصحاب المعاجم في جميع المستويات اللغوية والصرفية والنحوية والدلالية، قصد توضيح ما خفي معناه، وعسر فهم فحواه. وقد انماز معجم لسان العرب بغزارة الاستشهاد بالشعر؛ منه البيت الفرد، وأحياناً البيتان، وقد يستشهد بثلاثة أبيات أو أربعة، وكان معظمه معزوا لأصحابه، ومنتمياً إلى عصور مختلفة:

- الجاهليون: ومن جملتهم: امرؤ القيس، وزهير بن أبي سلمى، والأعشى، وعلقمة بن عبدة، وتأبط شراً، وعنترة بن شداد، والشنفرى، وساعد بن جؤية، وأعشى باهلة، وطرفة بن العبد، والنابغة الذبياني...
- المخضرمون: منهم: الحطيئة، والخنساء، والنابغة الجعدي، والعباس بن مرداس، وحسان بن ثابت، وأبو خراش الهذلي، وأبو ذؤيب الهذلي...

- **الإسلاميون:** وهم الذين كانوا في صدر الإسلام، ومن بينهم: ذو الرمة، والعجاج، ورؤبة، والأخطل، وقيس بن ذريح، والفرزدق، وجريز، وأبو الأسود الدؤلي، وابن هرمة، وكثير عزة، والكميت...
- **المولدون:** وهم من الطبقة الثالثة، وورود أشعارهم في المعجم كان قليلا، ومنهم: بشار بن برد، أبو نواس، والمتنبى³³...

4.5 الاحتجاج بأراء اللغويين والنحويين والبلاغيين:

لم يكتف ابن منظور بأراء أصحاب مصادره الخمس الذين نقل عنهم، وإنما توسع في باب الاحتجاج لينفتح على آراء اللغويين والنحاة والبلاغيين والمفسرين أمثال: الخليل، وسيبويه، والأخفش، والأصمعي، والجاحظ، والمبرد، والزجاجي، وابن جني، وعبد القاهر الجرجاني، وغيرهم. ولعل ذلك ما يبرر حضور جملة من المسائل الصرفية والنحوية والصوتية في معجمه.

5.5 الاستشهاد بأمثال العرب:

ومنه قوله: "ومن أمثال العرب جاء بالضحّ والريح وضخض الأمر إذا تبين"³⁴، وقوله أيضا: "يقال فلان من قحّ العرب وكجهم وكجهم أي من صميمهم"³⁵.

6. طرفا التداول:

يقصد بطرفي التداول المتكلم والمتلقي، بوصفهما قطبين رئيسين من أقطاب العملية التواصلية، وأحد مرتكزات التداولية، وقد احتفى بهما النقد

قديمًا وحديثًا وعيا منه بدورهما في إنجاح الحدث اللساني أو التواصل. ومن النصوص الموثقة لمدى التعالق بين الطرفين في التراث العربي قول الجاحظ: "مدار الأمر على البيان والتبيين، وعلى الإفهام والتفهّم، وكلما كان اللسان أبين كان أحمد، كما أنه كلما كان القلب أشدَّ استبانة كان أحمد، والمفهم لك والمتفهم عنك شريكان في الفضل"³⁶، حيث اشترط الجاحظ لمعرفة حقائق المعاني متكلمًا محسنًا للبيان، ومتلقيًا محسنًا للتذوق، وجعلهما شريكان في الفضل، وهو ما يؤول بأن عملية التلقي لها جذور ضاربة في التراث النقدي العربي، ومنه نتساءل: هل كان للصناعة المعجمية العربية حظ من هذا الحضور؟ وهل احتفى ابن منظور على غرار الجاحظ بطرفي التداول؟ وإن صح ذلك فأين تتجلى ملامحه؟

1.6 المتكلم:

معلوم أن استعمالات اللغة تختلف باختلاف متحدثيها، فقد تكون للفظ دلالة عند شخص معين ودلالة أخرى عند آخر؛ لذلك كان للمتكلم الذي يأخذ عنه ابن منظور مادته أهمية بالغة عنده، إذ يقع على عاتقه صحة ما يقتبس منه أو يحتج به، والمتكلم عند ابن منظور إما صاحب كلام مقدس: قرآن كريم أو حديث شريف، أو من ذوي خصوصية معينة كالنحاة واللغويين والبلاغيين والمفسرين، أو من جملة الشعراء الذين يحتج بهم خصوصًا الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين من صدر الإسلام، وبعض المولدين.

كما تتبدى عناية ابن منظور بالمتكلم من خلال مقصده من تأليف معجمه برمته، وهو صيانة لسانه العربي الفصيح، ومراعاة أحواله وظروفه من خلال توسعه في لغات العرب ولهجاتهم حتى يوفي اللفظة حقها من مختلف الاستعمالات المحتملة لها.

2.6 المتلقي:

يمثل الطرف الثاني في الفعل الاتصالي، فهو من يتلقى الخطاب اللغوي ويؤوله، وهو شريك المتكلم في العملية التواصلية، لذلك اهتم به ابن منظور أيما اهتمام، فبعدما أشار إلى أن الذين تقدموه من المعجميين أحد الصنفين: صنف أحسن الجمع ولم يحسن الوضع، وصنف آخر أجاد الوضع مع رداءة الجمع³⁷، جاء عمله في لسان العرب ليزلل هذه الصعاب ويسهل الأمر على المتلقي، وأصفى ما نقدمه شاهداً على ذلك قوله: "شرطنا في هذا الكتاب المبارك أن نرتبه كما رتب الجوهري صحاحه"³⁸، والجوهري عنده "قد أحسن ترتيب مختصره، وشهره بسهولة وضعه (...)" فخف على الناس أمره فتناولوه، وقرب عليهم مأخذه فتداولوه وتناقلوه"³⁹؛ فهذا توجه تداولي صريح، رأى من خلاله ابن منظور أن الفائدة المرجوة من كتابه رهينة بشموليته وسهولة تناوله، وبالتالي استحسنه من طرف المتلقي أو الجمهور.

7. خاتمة:

بعد التّطواف بين مباحث هذا المقال، يتبين لنا بجلاء أن لسان العرب لابن منظور شكل بحق ثروة معجمية وموسوعة معرفية، جمعت شتات المادة اللغوية من أمهات كتب اللغة على التحقيق، وطرزتها بجليل

الأخبار وبديع الآثار، حتى بلغت ذروة الإبداع في الجمع والتأليف، وتبوأ بين المعاجم منزلة الشمس بين النجوم، فكانت صورة أوفى عن لغة العرب وثقافتهم وعلومهم. ويمكن أن نلخص، على ضوء ذلك، جملة الملامح التداولية في هذا السفر النفيس في الآتي:

- منهج ابن منظور في اللسان تداولي بامتياز، استحضره فيه صاحبه العديد من مقومات الطرح التداولي؛

- يكتسي المعنى في لسان العرب بعدا ديناميا بحسب تعدد المواقف والسياقات المختلفة اللغوية منها وغير اللغوية؛

- للسياق أثر كبير في تضخم معظم المعاجم العربية القديمة بما في ذلك لسان العرب؛

- وظف صاحب اللسان العديد من الشواهد ونوعها للاتساع في التوضيح والتدليل، ومراعاة مقاصد المتكلم وأحوال المخاطب؛

- لسان العرب موسوعة معارف متنوعة المشارب، أسهمت في إثراء العربية ونمائها وديمومتها؛

- الاحتجاج بالقرآن الكريم والحديث الشريف وكلام العرب (شعرا ونثرا) يلقي ضوءا كاشفا على ثقافة العرب وعاداتهم وتقاليدهم؛

ختاما، حري بالباحثين الالتفات إلى التراث المعجمي العربي بمزيد من الاهتمام والاستقصاء، وخوض غمار البحث في ثناياه وفق منظورات المناهج الحديثة، من أجل استكناه نفائسه وكشف اللثام عن مجموعة من القضايا المهمة التي تتماهى مع مقتضيات العلوم اللغوية المستجدة كاللسانيات والأسلوبية والتداولية وتحليل الخطاب.

8. قائمة الإحالات:

- ¹- Jaque Moeschler - Anne Reboul, Dictionnaire Encyclopédique de Pragmatique, Edition du seuil, 1994, p 17.
- ²-Dominique Maingueneau, Aborder la linguistique, Edition du seuil collections Mémo, Paris, 1996, p 29.
- ³- أحمد محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، د.ط، 2002، ص 14.
- ⁴- انظر ترجمته ضمن: السيوطي: بغية الوعاة، 248/1، والزركلي: الأعلام، 108/7.
- ⁵- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 1، 1/1968.
- ⁶- السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى بابي الحلبي، القاهرة، ط 1، د.ت. 248/1.
- ⁷- لسان العرب، 8/1.
- ⁸- نفسه، 7/1.
- ⁹- نفسه، 7/1.
- ¹⁰- حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، دار مصر للطباعة، ط 4، 1988، 430/2.
- ¹¹- نفسه، 430/2.
- ¹²- لسان العرب، 7/1.
- ¹³- نفسه، 8/1.
- ¹⁴- نفسه، 7/1.
- ¹⁵- نفسه، مادة (عجم).
- ¹⁶- جوزيف فندريس، اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ط، 1950، ص 231.
- انظر أيضاً: خديجة زبارعنيان وسلوى داود سلمان، السياق وأثره في الدلالة اللغوية، مجلة التراث العلمي العربي، ع 40، 2019، ص 12 وما بعدها.
- ¹⁷- باتريك شارودو ودومينيك منغونو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري وحماي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، د.ط، 2008، ص 133.
- ¹⁸- خليل حلي، مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، دار النهضة العربية، بيروت، ط 1، 1997، ص 273.
- ¹⁹- لسان العرب، مادة (نقر).
- ²⁰- نفسه، مادة (كرث).
- ²¹- نفسه، مادة (أمر).

- 22- باتريك شارودو ودومينيك منغونو، معجم تحليل الخطاب، ص 133.
- 23- نفسه، ص 134.
- 24- خديجة زبارعنيزان وسلوى داود سلمان، السياق وأثره في الدلالة اللغوية، ص 21.
- 25- لسان العرب، مادة (جذر).
- 26- نفسه، مادة (نساء).
- 27- C. Perlman et L.T. Olbrechts: Traité de l'argumentation, la nouvelle rhétorique, édition de l'université de bruxelles, 2000, p 5.
- 28- ينظر: حيدر جبار عيدان، المتن اللغوي في المعجم العربي القديم، دراسة في كيفية المعالجة، مجلة اللغة العربية وآدابها، العراق، ع. 6، حزيران 2008. ص 13.
- 29- لسان العرب، مادة (كلل).
- 30- نفسه، مادة (أزر).
- 31- محمد رشاد الحمزاوي: من قضايا المعجم العربي قديماً وحديثاً، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط 1، 1986، ص 143.
- 32- لسان العرب، مادة (أشر).
- 33- صليحة بعطوش: لسان العرب لابن منظور، دراسة في الشواهد والمستويات اللغوية، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج 8، ع 2، 2019. ص 94-95.
- ينظر أيضاً: عبد العزيز سفر: شوارد الشواهد الشعرية في لسان العرب، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مج 9، ع 4، 2013، ص 196 وما بعدها.
- 34- لسان العرب، مادة (ضحج).
- 35- نفسه، مادة (قحج).
- 36- الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مطبعة الخانجي، القاهرة، د.ت، 11/1.
- 37- ينظر: لسان العرب، 7/1.
- 38- نفسه، 9/1.
- 39- نفسه، 7/1.